الشاعر الحزين

ـ الى صلاح عبد الصبور ـ

ـ ١ ـ

يروون ان مضحك السلطان
(وكان يدعى جلفدان)
ابدع في الاضحاك ، يوم عيد
حتى غدت مدينة السلطان ضحكـــة
لا تنتهي ،
وجلفدان يستثيرها ، فتطلب المزيد
وجلفدان رافل في حلة من القصب
وملء فيه حفنة من الذهب ،
وفجأة ... تمزقت في قلبه الكلمه
وأخذت تدور حول نفسها ، تدور :
قد أبصر الرؤوس في العتمه
مقطوعة ، تسبح في الفضاء
وأبصر العيون مطفأه ،
مخلوعة ، منفقئه
تائهة ، بلا رجاء .
تلعثمت في صدره نغمه
لكنها ما جاوزت صدره ..
« اسقوه ماء .. ماء
مـــاء ..
اضحك واضحكنا
يا جلفدان »
طافوا به ، كي يكشفوا سره ..
وغمغمت في حلقه غصه
« يا ويحها .. يا ليتها تبوح
بما ارى ، بما أحس »
ودار في المكان همس :
« ارو لنا قصه
ارقص لنا رقصه
اضحك ، وأضحكنا
يا جلفدان ! »
تفجرت من قلبه الدموع
« الارض جوع
الارض بؤس »
وولدت عبره
أصفى من الينبوع
وراءها عبره
تضم ما في الارض من اسى وجوع ..
تدفقت في وجهه الدموع
بكى . بكى . بكي .

ـ ٢ ـ

تمددت على الوجوه آخر ابتسامة ،
تجمدت
وحشرجت في كل وجه نضرة الضحك
تيبست
كأنما صارت علامة الجنون ..
خرساء لا تبدي ولا تعيد ..
لكنما الحوار في العيون :
عين تقول : ما دهاه ؟
عين ترد : ليت شعري ما اعتراه ؟
عين تمد جيدها الى البعيد ،
ثم تهز هدبها ، تجيب في وقار ،
تريق حكمة القرون :
« دعوه ، ان لمسة من مارد مريد
حلت به ، ولمسة المارد من جليد ..
تقمصته الجن يا اخوان ..
تذكروا يا ويحكم مـــا تصنع الجنة
بالانسان ! »
ورف هدب مثقل بحفنة ظمأى مـن
النعاس :
« هذا الدعي افسد الاعياد ... »
ثم تثاقلت عليـــه قبضة الكـرى ،
تثاءبت ، فنام .
واهتز جفن الشيـخ ، شيخ الحضرة
الجليل :
« دعوه ؟؟ لا ! بل مزقوه ان في بقائه
فناءكم يا ناس !
الا ترون فعلـــه ، يجترح الكبـــيرة
العجيبة النكراء !
من اين ؟ من اعدائكم ينفث فيكـــم
السموم
فدافعوا عن عيدكم ، عن حقكم فـي
جنة النعيم » .

ـ ٣ ـ

تكأكأت عيون
وحومت عيون
وفي ظلال المنتأى لاذت عيون
وحدقت ، عن كثب ، عيون
واحدقت بمضحك السلطان ، بالمهرج
الحزين ،
عيـــون
عيون ..
وجلفدان أمره عجب
ما باله يضحك ، ثم ينتحب ؟
تمازجت فـي رأسه جداول السرور
والاساه والحنان والغضب ..
واختلطت روافد الحيـــاة والممـات
والمياه واللهب ..

*

وقام تحت قبـــة اللآلىء الفريدة ،
السلطان
تسمرت على بريق ثغره الاجفان :
« خذوه .. واصلبوه عنـــد مدخل
المدينه ،
لكي يكون في عيون الوافدين عبـــرة
وزينه ! » .

ـ ٤ ـ

ومرت السنون ..

*

يروون ان الشاعر المصلوب مد راحتيه
فاخضوضرت مواسم الربيع
ومد للمدى البعيد مقلتيه
« الارض جوع
الارض بؤس .. »
لا بد ان ترى ظماها الارض
وأن تحس
وأن تبوح
ومرت السنون
وأزهرت مقابر المدينه
والشاعر المصلوب صار عبرة وزينه ..
يراه كل عابـــر ، فينتشي بالرؤيـــة
الشفافة الحزينه
وينتشي بالرفض .

*

يبعث من مرقده العظيم جلفدان
يبحث عن معالم المدينه
مدينة ليس لها حدود
يبحث عن معالم الانسان
لكي يشق دربه الجديد
الى الحياة والرجاء والامان .

القدس — **امين شنار**